صهيلٌ في مساكن الريح

"أنا أفهمك" آخر ما قالهُ الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه، وهو يصرخ هلعاً وهو يطوّق بذراعيه رقبة حصان كان يضربه صاحبه بلا رحمة، قالها في تورينو عام 1889، قبل الدخول في مرحلة الصمت حتى وفاته, حيث أصبح الصمت موقف الفيلسوف الذي تكلم كثيراً.

يعد الاصرار على انتاج لوحة الرسم وفقا لتقاليده وتعريفه الاحترافي المعجمي - مايشكل باليد – ركنا اساسا للحوار بين انساق التشكيل المعاصر الذي تتنازعه انفتاحات العرض البصري والخروج المستمر من تقليدية النتاج واحترافيته الامر الذي ضغط باتجاه مشترك فاعل يمثله الحضور المفاهيمي في العرض البصري لعموم الفن العالمي وبالخصوص المعاصر منه حيث يتقدم المفهوم على المؤسسات التقنية ويكون دالة على فعالية وحيوية ومعاصرة المنجز وهو امر يحسب لهذه التجربة التي يقدمها الفنان قيس السندي.
فمن خلال ثلاثي – الصهيل- المسكن- الريح المعادل الموضوعي لل الخيل – الوطن – الهجرة, يقدم الفنان تجربته الشاعرية –- وهو يحاول نحت الشحن العاطفي بتجليات النتاج المفهومي التعبيري لتداعيات الهجرة التي ميزت حياة الانسان- الفنان فردا وامة وتاريخا وجغرافية, وكانت السبب في تشكيل التنوع والتداخل والتقابل الحضاري رغم ما تتطلبه من ثمن باهض يتمثل في النوستاليجي الناشيء عن الارتباط الدائم والمشدد بالجذر الذي يتاصل فلا يسعه المغادرة بل انه يشكل من البقايا ذاكرة تحتفي بالمكان والفعل وجمالياته– ترائى للفنان ان يرمُز لبراعة الخيل في صناعة الوفاء -مرة للصاحب واخرى للمكان كي لايكون وحيدا – وهو بذلك يتسلل الى العمق الكامن ليعلن ان الرمز في القراءة وليس في المرسومات - استعارة الفنان السندي لهذا الرفيق الصامت الجميل جاءت بايحاء من علاقتها المتفردة والتاريخية والعاطفية مع الانسان -, فالحصان هو رفيق صاحبه, وهو فضلا عن كونه السابح الذي مثل اعز مكان في الدنيا, وشكل وجودها الفاعل علامة الفعل التواصلي الانساني عبر التاريخ والجغرافية, و اكتسب تمثيلها وتوثيقها حضورا ايقونيا.

في متحفيّ الجدار والذاكرة ومنه تاريخ التشكيل ,وبحضور استثنائي في حياة الشرق بماتميزت به من خصوصية قلق حضاري مستعر لم يخفت يوما, والذي انعكس جينيا لاواعيا في منجز قيس السندي – الفنان - الشرقي والمهاجر- و بما اكسب قصديته الواعية ميزة خاصة في هذه التجربة - وهو ما يحصل في هذا العرض بالاعتماد على العمق الثقافي والمعرفي والاحترافي فضلا عن الجيني للفنان فجاءت هذه التجربة توثيقا لثاوي عاش معه الفنان مكتنزا من الصور الذهنية الكثيربما يكفي لتاليف البني الصورية بما يتطلبه انتاج فن معاصر. وهو بذلك يوفق مفهوميا بين الشاعريّة والتداولية, فالخيول في مطلع الافية الثالثة رمز يتجاوز مفهومه الايقوني, فعليه عمد الفنان الى المغاير والمفارق موضوعيا ليعبر عن رؤيته المفاهيمية بتفكيك شكلي وتقنيّ, بالكشف عن العلاقة بين الانسان والخيل وتبادل الأدوار بينهما, بين حامل ومحمول وتارك ومتروك وتوزيع في مقدم ومؤخر اللوحة ببناء انشائي انفعالي يتأثّث بكثير من الرثاء والعاطفة والأطلال التي يحمل فيها كلا منهما الاخر, الانسان والحصان والبيت الذي يتجسد مرة في بناء العمل ككل واخرى في خطوط مختزلة للتذكير وحيث يتمنى ان يكون لحصانه جواز مرور عبر المكان والزمان والتقنية.

الى جانب احتفاظه بكم كبير من الاداء الاولى دون تهذيب لما يحتويه من طاقة تعبيرية مشفرة تصفّر المسافة بين الصور الذهنية للفنان وما يقدمه من تنظيم بصري – جاء بعمومه مصداقا لرؤية ثبات التراجيدي في التاريخ ومنه التاريخ الفني -ومن خلال التلاعب الزمكاني لمكونات السطح البصري الذي يشيد حوارية انشاءات العرض والاختزال المحسوب العواقب اعتمادا على المهارات اللونيه في الهارموني والتناقض. وبذلك, يؤكد الفنان قيس السندي انتصاره للوحه الرسم المعزز بالتجريب مع خروجه الضمني المستمر من منطقة الرسم كما هو الى مناطق موحشة يحتفظ فيها بالاداء الاولي والمحاولة الدائمة لمغادره الظاهرة نحو الثاوي المكتنز عاطفيا وهو ما يؤكده طلاقه الفرشات التعبيريه التي تحقق اعلى طاقه للصوره يكتفي معها الفنان احيانا بالمخطط الاولى البكر واخرى بالتنغيم اللوني الذي يظهر مهارة الدرس الاكاديمي التعبيري سيّما وهو يؤكد غرائبية اللون الحيادي الذي يربط واضحا الاشكال بالعلامات والرموز التي شُحنت بها اللوحات بدوامة مستمرة تؤكد على التساؤلات الوجودية عن الجدوى, والنوستالجيا – الحنين- المتعلقة بالوطن (البيت, المنزل, المهاجر) والصهيل الذي يصفر في المسكن المهجور.

يؤرشف السندي أعماله بأمنيات كامنة بانه لن يترك الحصان لانه يسعى للاقتراب اكثر من ماهية هذه العلاقة.مع هذا الكائن الذي يحمل في داخله محبة حقيقية لصاحبه. العرض انجاز متقدم ومحطة مضيئة من رحلة اللوحة من المرسوم الى المفهوم الذي يفرض سلطته الابستمولوجية بما يتطلب اعادة تاهيل الموضوع والشكل والتقنية والتي قدمها الفنان السندي بنجاح وتميز وعاطفة مضغوطة بشخصيته العلمية ليعلن امنيته العاطفية بان لانترك الحصان وحيدا عزاءاً لتاريخنا القادم.

د.سلام جبار
فنان تشكيلي وناقد
بروفيسور دكتور كلية الفنون الجميلة - بغداد
بغداد- 31 كانون الأول 2021